قراءة فلسفية إبستيمولوجية لتداعيات جائحة كوفيد-19 بين نقد الحداثة ونظرية المؤامرة

An epistemological philosophical reading of the repercussions of the Covid-19 pandemic between criticism of modernity and conspiracy theory

عبيد يمينة[1] *

تاريخ الإرسال: 2021/03/04 تاريخ القبول: 2022/01/01 تاريخ النشر: 2023/06/01

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الى توضيح مواقف الفلاسفة من تداعيات جائحة كوفيد-19 على الإنسانية بين ناقد للحداثة -من خلال التأكيد على انهيار النظام الصحي وتراجع القيم الإنسانية-وبين من تبنى نظرية المؤامرة باعتبار أن هذا الفيروس يكرس السيطرة على الانسان.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التحليلي الوصفي، ومن أهم النتائج التي خلصنا اليها أن ضعف التصدي لهذا الوباء يضاف الى حلقات أزمة الحداثة، التي اهتمت بالجانب المادي على حساب الجانب الروحي الأخلاقي، كما أن ملامح ما بعد كورونا توحي بعودة النظام الاستبدادي القائم على المراقبة والعقاب.

الكلمات المفتاحية: كوفيد-19؛ نقد الحداثة؛ نظرية المؤامرة؛ الاستبداد، القيم الإنسانية.

Abstract :

This study aims to clarify the opinions of philosophers from the repercussions of the Covid -19 pandemic on humanity between a critic of modernity - by emphasizing the collapse of the health system and decline human values - and those who adopted the conspiracy theory considering that this virus is devoting to control a human.

We have relied In our study, the descriptive analytical approach, and one of the most important results that we concluded, is that the weakness of dealing with this epidemic adds the episodes of the modernity crisis that concerned the material side at the expense of the spiritual and moral side, post-Corona features also suggest the return of an authoritarian regime based on observation and punishment.

Keyword : scovid-19; criticism of modernity; conspiracy theory; autocratic ;human values.

*المؤلف المراسل

[1] Abid Yamina, MCB -Univ –Laghouat , LPHDS: Algeria, a.abid@lagh-univ.dz

مقدمة

أسفر تفشي فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) موجة كبيرة من المراجعات الفكرية والنقد الذاتي في بلدان العالم المختلفة ولا سيما العالم الغربي، وقدم مجموعة من فلاسفة ومفكري أوروبا والولايات المتحدة قراءة نقدية لواقع مجتمعاتهم المعاصرة ورؤى بديلة لتجاوز تأزم الحداثة المعاصرة التي قال بعضهم إنها كادت تصل لطريق مسدود.

كما أحدث هذا الوباء سجالات واسعة ضمت عريضة مثيرة من الآراء والتوقعات والتكهنات وصلت إلى الحديث عن "عالم ما قبل كورونا" و"عالم ما بعد كورونا". وراح الحديث عن "ما بعد كورونا" بين التوقعات الهادئة الرصينة، وقراءات استشرافية. وهذا ليس غريبًا نتيجة عدم اليقين وضبابية الوضع الراهن اتجاه تطور جائحة الوباء ومآلاته، الى جانب الفرضيات التي تُمكّن من رسم السيناريوهات الممكنة والمحتملة والمرغوبة. لكن الأكيد أن هذه الجائحة ستترك آثارها وبصماتها على مختلف مستويات الحياة، الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية، الثقافية والعلمية.

وعليه سنحاول الاجابة على الإشكالية الرئيسية التالية: هل كشفت جائحة كوفيد-19 على عيوب الحداثة وعرتها أكثر؟ وهل فعلا يحمل هذا الوباء في طياته مؤامرة ضد الإنسانية؟

1-آثار جائحة كوفيد-19 على المجتمعات المعاصرة وتعرية الحداثة

مما لا شك فيه أن آثار جائحة كوفيد-19 مست بشكل مباشر المجتمعات المعاصرة في كل مستوياتها خاصة الجانب الصحي، والاقتصادي وما نتج عنه من تعبات سلبية على البشر ككل متجاوزا بذلك كل المعايير وحتى القيم الإنسانية وهذا ما يعتبر ضربة جديدة ونكسة أخرى للحداثة. وسنحاول توضيح ذلك في العناصر التالية:

1-1 البطالة والفقر

عمّقت جائحة كورونا التفاوت الاجتماعي، فوفق منظمة العمل الدولية أن ملياري شخص، ممن يعملون في القطاع غير الرسمي، معرضون للخطر بشكل خاص.كما أفادت التوقعات بأن الملايين قد يتم دفعهم إلى البطالة والعمالة الناقصة أو تفشي الفقر المدقع في أوساط العمال.

وقال غاي رايدر، المدير العام لمنظمة العمل الدولية: لم تعد جائحة كورونا أزمة صحية عالمية فحسب، بل إنها تمثل أيضا أزمة في سوق العمل ذات تداعيات اقتصادية كبيرة على الناس." (الامم المتحدة ، 2020)

يكتسي الشغل أهمية بالغة في حياة الانسان فوفق هيجل "هو الذي يخلق التاريخ البشري، ويحول العالم الطبيعي إلى عالم يمكن أن يسكنه الإنسان" (ستيس، 2005)؛ فإن أي تغييرات جوهرية تطرأ عليه وطريقة تأديته ستمثل نقطة تحول جديدة في التاريخ البشري، وهذا ما أفرزته جائحة كوفيد-19 من فقدان في حجم العمل وإلغاء بعض الوظائف، أو التي يمكن أن تلغى مستقبلا، وهذا الوضع آخذ في التنامي. وقد قدرت منظمة العمل الدولية معدلات الخمول بسبب الإغلاق

الاقتصادي المفروض كجزء من الإجراءات الاحترازية لمحاصرة فيروس كورونا عالميًّا بنحو 81 مليون ومعدل عدم النشاط بنسبة 71 في المائة من خسائر العمالة العالمية، مما أدى إلى انخفاض معدل المشاركة في القوى العاملة العالمية بنسبة 2.2 نقطة مئوية في عام 2020 إلى 58.4 في المائة.(ILO, 2020)

هذه التطورات المثيرة تنبأ بها الفيلسوف جريمي ريفكن في عام 1995 "، في كتابه "نهاية العمل". عند ظهور الثورة التكنولوجية قائلًا: "إن التكنولوجيا ستُفضي –تدريجيًّا–إلى اختفاء اليد العاملة البشريّة"؛ لكن نتيجة تنبؤه كانت مشابهة، لما قد تكون الأزمة الحالية متجهة إليه، عندما قال: "يجب علينا أن نتوقّع انتشار البطالة والعوز"، وطالب بالاستعداد لذلك عن طريق "الاستثمار الضخم في الاقتصاد الاجتماعيّ، والتحلّي بالأمل في ظهور مجتمع أقل تعلّقًا بالتجارة والبيع، وأكثر تضامنًا". وهو ما تحقق فعلا مع جائحة كوفيد–19 الذي قاد العمل الى نهايته بسبب اجراءات العزل مما تسبب في انتشار الفقر المدقع. (ريفكن، 2005)

2–1 الموت

تعتبر جائحة كورونا من أصعب الأزمات التي مرت على البشرية مثل الطاعون، وأنواع الأنفلونزا، وغيرها من الأمراض والأوبئة، لأنه أنداك لم يتعولم الفيروس وينتشر بأكثر من 190 دولة، كما أن مخلفات جائحة كورونا أكثر تعقيدا وضررا من الأزمات السابقة، حيث بلغت الخسائر البشرية أكثر من اثنين مليون وست مئة ألف وفاة. (CSSEGISandData, 2021)

نتيجة لهذه الحصيلة المرعبة من الوفيات، يركز بعض المؤلفين على المخاطر الهائلة الكامنة في الخوف الذي يسيطر علينا، والآثار المترتبة عليه. فبالنسبة إلى امكه كارولين (Carolina Emke) ترى أنه من الطبيعي أن يسبب الوباء في نفوس الناس الخوف والفزع. الخوف من المرض أو من الموت وحيدا أو عدم القدرة على مرافقة الأحباء وتوديعهم، فضلا عن الخوف من الأعباء المادية أو فقدان العمل." (Emcke:, 2020)

في خضم الاضطراب الراهن بسبب انتشار فيروس كورونا، يشعر إدغار مورين (Edgar Morin)، الفيلسوف وعالم الاجتماع ومدير البحوث الفخري في المركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا، بالتفاؤل. فقد تحدث مؤخرًا عن موضوع "لتغيير العالم: لم يفت الأوان" (Changer le monde: il n'est pas trop tard) في الجلسة الأولى من سلسلة المحاضرات العامة "حقبة عجيبة" (Une Époque Formidable). يلاحظ مورين أن البشر اكتسبوا الكثير من المعرفة حتى عن الموت، لم يكن لديهم أبدًا ما لهم حاليًّا من المعلومات والخبرات المتعددة. لكنهم فقدوا القدرة على تحديد الوجهة الصحيحة، بل أضاعوا البوصلة. فهو يقول "لقد جمعنا الكثير من المعلومات حول البشر، لكننا لم نعرف بعد كيف نكون بشرًا. ليست معرفة هويتنا البشرية جزءًا من منهجنا الأكاديمي في مدارسنا وجامعاتنا. وعلى مستوى السياسة، "فقدنا البوصلة ". ويبقى السؤال "إلى أين يجب أن نذهب من هناك؟ (Merlet, 2020).

3–1 زيادة أشكال القمع والاستبداد

كرس فيروس كورونا للعنصرية أكثر من خلال تغذية الكراهية، وتصاعد الاستبداد والقمع، كما عمق الهوة بين الأعراق وهذا ما أكدته الفيلسوفة الألمانية كارولين إيمكه (المولودة في سنة 1967) حيث اعتبرت أن تأثير الأزمة وتبعاتها لم يكن بالطريقة نفسها على الجميع"، وفي الحقيقة، يُغري الوباء بمزيد من الاستبداد والقمع والمراقبة باستخدام الأدوات الإلكترونية." وفي ردها على سؤال حول اعتقادها عما إذا كان ما يجري سيفاقم من الكراهية تجاه الآخر المختلف (الأجانب)،" لم يُفرز انعدام الأمن الفردي والجماعي رهاب الأجانب فحسب، بل غذّى أيضا الكراهية والعنف ضد المرأة." وفي سياق آخر أكدت أن جل ما يقلقها هو "أننا لا نتعلم أي شيء من الأزمة. وقد أصبح جليا أنه لا يمكننا إنكار الواقع، وأن هناك حدودًا للخطاب المخادع والنرجسي والأكاذيب السياسية". (Emcke:, 2020)

على الرغم من حقيقة أن الجائحة هي مرحلة هشة للغاية وديناميكية وحتى غير متزامنة، فإن تداعياتها مرتبطة بالإغراء الاستبدادي تُلاحظ بوضوح "التي تدعو إلى القمع والمراقبة الشمولية القائمة على البيانات الرقمية والانحدار القومي. أو الحساب الداروينى الذي يضع ثمناً لخسارة أجسام أقدم وأضعف وأقل تدريباً. لكن تكمن وراء هذه السلوكيات الديناميكية العميقة التي تقودنا من الخوف إلى الكراهية**.** (Jurado, 2020)

وقال أستاذ التاريخ والسياسة في جامعة غراتس النمساوية فلوريان بيبر، إن الإجراءات الحالية قد تنجح في التخفيف من انتشار الفيروس وتفشي الجائحة، لكن العالم سيواجه خطرا من نوع آخر، إذ سيكون العديد من البلدان أقل ديمقراطية بكثير مما كانت عليه قبل مارس/آذار من العام الجاري، حتى بعدما يتراجع خطر الفيروس(Bieber, 2020) .

ويتابع أن الضوابط والتوازنات –غالبا–يتم تجاهلها من قبل السلطات التنفيذية في أوقات الأزمات، لكن الخطورة تكمن في أن تتحول هذه الإجراءات الاستثنائية المؤقتة إلى دائمة.

ومع تزايد عدد البلدان التي أعلنت حالة الطوارئ العامة، تتزايد المخاوف بشأن مدى انتهاك التدابير –إن لم تكن مناسبة ومحدودة الزمن–الحقوق المدنية الأساسية وسيادة القانون، مع بقاء ما يقرب من ثلث سكان العالم فيما يشبه الحجر الصحي أو الحظر والعزلة .

3–1 انهيار النظام الصحي

لقد كان لتفشي الجائحة كورونا آثارا مباشرة على المنظومة الصحية العالمية وفي جميع أنحاء العالم، حيث كشفت هشاشة إدارة الأوبئة وهذا ما ترتب عنه انهيار النظام الصحي، وهذا ما يؤكده نعوم تشومسكي (الفيلسوف واللغوي الأمريكي Noam Chomsky) في مقابلة له حول فيروس كورونا المستجد "كوفيد–19" وكيفية التعامل معه خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية أوضح أن مفهوم الاقتصاد والكفاءة ضروريان لمواجهة المستقبل، حيث استطرد "كان ينبغي أن

يكون لديك أسرة طبية كافية لاحتياجاتك المستقبلية". وأردف " بما أننا لم نعد العدة للمستقبل، فقد تسبب ذلك في تدمير نظام المستشفيات"، وواصل تشومسكي " ولذلك فإن فيروس كورونا الذي يجب السيطرة عليه في مجتمع فعال أصبح يخرج عن سيطرتنا لأننا لسنا مستعدين لمجابهته". (Rollingstone, 2020)

والبلدان التي خرجت بأقل الأضرار هي تلك التي اهتمت بنظامها الصحي الاجتماعي وهي الدول القائمة على النظم الاشتراكية كالصين" سيكون من الحاسم أن تكون قادرًا على إثبات أن المجتمعات التي سوف تخرج من هذه الأزمة بأقل الأضرار هي تلك التي لديها نظام صحي عام يُعول عليه والتي لم تتم خصخصة بنيتها التحتية الاجتماعية وتآكلها تمامًا". (Emcke:, 2020)

1-4 ضرورة العودة الى البعد الانساني والقيم الاخلاقية

إن تداعيات فيروس كورونا على الإنسانية أتبث بما لا يدع مجالا للشك أن العولمة وآلياتها كانت سببا مباشرا لانهيار القيم الأخلاقية و الإنسانية من خلال انتشار اللامساواة، والاستهتار بحياة البشر، الأنانية والممارسات الانتهازية للدول العظمى على حساب بقية الدول، وحتى في الدول نفسها هناك تمييز فاضح وعنصري بين المرضى، وقد وضح الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس –(Jürgen Habermas) وهو من أبرز فلاسفة مدرسة فرانكفورت أي النظرية النقدية الاجتماعية التي ما فتئ مفكروها ينقدون الحداثة بكل أشكالها و يمثلون فكر ما بعد الحداثة) هذا الخرق الأخلاقي في حديثه عن الدستور الأوربي – الذي يضمن عدم المساس بالكرامة الإنسانية والمؤمن بوحدتها – وأعرب عن قلقه على خلفية تخلي الاتحاد الأوربي عن مساعدة إيطاليا واسبانيا رغم رفعه شعار الوحدة والتضامن، وحث الاتحاد الأوروبي على مساعدة الدول الأعضاء الأكثر تضررا كما أبدى امتعاضه من الخطر الذي يشكله تشبع وحدات العناية المركزة في المستشفيات، لأنه قد يضطر الطبيب إلى اتخاذ قرار مأساوي غير أخلاقي من خلال انتهاك مبدأ المساواة الصارمة في المعاملة، والمفاضلة بين حياة إنسان وآخر. وكيف يعطي الطبيب نفسه الحق في اتخاذ قرار الحياة والموت؟ (Habermas, 2020). وبهذا يتحوّل موضوع الوباء إلى موضوع أخلاقي، ومناسبة للعبرة والموعظة مقارنة بما مضى من الأحداث وبما قد يأتي مستقبلا. كما أعرب العديد من المفكرين الأوروبيين عن قلقهم إزاء التراجع الأخلاقي "لا أرى كيف سنكون قادرين على تحمل العبء الأخلاقي والسياسي كألمان وأوروبيين، لأننا لم نتفاعل مع الأزمة بالقدر اللازم من منطلق إنساني. يبدو لي أن تقديم بعض المساعدات المالية على مضض لبلدان جنوب القارة بدلاً من إطلاق حملة قوية لصالح الدول المتضررة، هو خطأ لا يُغتفر. وهنا أتحدث في السياق الأوروبي فقط." (Jurado, 2020)

تدعو الحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى لنقاش عام حول الاستقلالية الأخلاقية للمواطنين في إعادة تعريف حقوق الدولة والتزاماتها وإعادة بناء سلطتهم الأخلاقية. وينبغي أن يبدأ النقاش على أرضية جديدة وزخم جديد. وذلك

من خلال التأسيس لبنية ديمقراطية أخلاقية ودولة أخلاقية كصيغة مناهضة لأطروحة النيوليبرالية بمسمَّى "الرأسمالية الأخلاقية"(Ethical Capitalism)، والتي تنبثق من التفسير الكلاسيكي الواضح لآدم سميث بشأن القوى التي تشكل ما نسميه "السوق الحرة"، وهي الازدهار والعدالة والحرية. يبدو أن واقع فيروس كورونا وغياب الدولة، فضلًا عن عدم وجود شبكة أمان صحي استباقي، يستدعي العودة إلى القانون الطبيعي، ومبادئ فلسلة إيمانويل كانط (Immanuel Kant) ونموذج الاحتياجات البشرية الأساسية. لقد أحيا الوباء الجديد عدة اسئلة جوهرية من المنظور الكانطي تتمثل في كيف نملأ الفجوة عندما تفشل الدولة في حماية المواطن؟ ما الذي يجب أن يأتي أولًا: الشخص أم الربح؟، ما هي "ميتافيزيقيا الأخلاق في عام 2020؟ وهي تمثِّل "نظامًا من المبادئ الأخلاقية الأولية التي تطبق الضرورة الحتمية على البشر في جميع الأوقات والثقافات فالإنسان كائن مقدس لذاته حيث يجب أن يعامل كغاية لا كوسيلة. (كانط، 2002) ودفاعا عن هذا الموقف يرى الفيلسوف الألماني روبرت بول وولف(Paul Wolff) ، وهو من أنصار الفلسفة الكانطية، في كتاب لقي رواجًا جيدًا بعنوان "دفاعًا عن الفوضوية (In Defense of Anarchism) "إن "العلامة المميزة للدولة هي السلطة والحق في الحكم. أما الالتزام الأساسي للإنسان هو الحكم الذاتي ورفض الحكم. وقد يبدو إذن أنه لا يمكن التوصل إلى حل للصراع بين استقلالية الفرد والسلطة المفترضة للدولة. فبقدر ما يفي الرجل بواجبه في جعل نفسه صاحب قراراته، فإنه سيقاوم مطالبة الدولة بالسلطة عليه (Wolff, 1970).

لا يمكن اعتبار الفضيلة والأخلاق مجرد شعارات براقة ومبادئ مثالية متعالية بل يمكن تطبيقها على أرض الواقع بشكل نسبي ويُنظر إليه في الفلسفة الكانطية كعنصر يربط جميع المجالات مباشرة: الأخلاق، وفلسفة القانون، وفلسفة السياسة، والفلسفة التاريخية. تمسَّك كانط بالتركيز على مركزية الفرد وعلى الذات الأخلاقية الحرة والموضوع في قلب الدائرة، في حين وضع البنية وجميع المؤسسات السياسية والتنظيمات الاقتصادية المندمجة معها في المحيط. كما ظل منفتحًا على فكرة السلام الدائم. وحثَّ كانط الذات على "التصرف فقط على هذا الأساس الذي يمكنه في الوقت ذاته أن يصبح قانونًا عالميًّا". (كانط، 2002)

2-كورونا ونظرية المؤامرة

منذ القدم والعقل البشري يميل الى تصديق نظريات المؤامرة، وما انتشار فيروس كوفيد-19 في العالم أجمع، إلا تجسيد لهذه النظرية، حيث انقسم العالم بين من يرى هذا الفيروس خطراً حقيقياً ومن يراه سلاحاً بيولوجياً، ومن يراه مجرد كذبة ووهم ولعبة تحكمها نظرية المؤامرة. في الواقع من حيث المبدأ تبدو فرضية المؤامرة منطقية، ولكن المنطق ذاته يحكم نظرية المؤامرة القائمة على وجود الطرف المستفيد من الجائحة، ففي مقاربة بسيطة تجد أن الجائحة لم تستثنِ بلداً من البلدان، بل على العكس فإن الاقتصادات العالمية كلها تراجعت، وكل الحكومات تحملت أعباء إضافية وصلت إلى حدود الركود العام،

ما تطلب إجراءات وقائية، كان أولها الإغلاق التام لكل النشاطات التجارية والاقتصادية والصناعية والتعليمية، وما ترتب عليه أيضاً من زيادة الإنفاق على القطاع الصحي (Agamben, Giorgio Agamben: ‘‘Clarifications’’, 2020).

2-1 حالة الاستثناء والديمقراطية الاستبدادية

إن جائحة كورونا قد عطلت معظم الممارسات الديمقراطية حول العالم بحسب العديد من الفلاسفة الأوروبيين ومنهم الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين (Giorgio Agamben) ويشتهر هذا المفكر بكتابه الانسان المستباح والحياة العارية في اربعة أجزاء منها-حالة الاستثناء-) الذي يعتبر أن السلطات تستخدم الظروف الاستثنائية لتبرير تعطيل القانون وحيازة السلطة المطلقة، مشيرا لتحولها إلى حالة دائمة حتى في النظم الدستورية الديمقراطية، إذ يعيد هذا المفكر تركيب للعلاقة الحميمة بين الحكم السيادي والاستثناء السياسي الحيوي إلى نتيجة المثيرة للقلق. ففي ضوء أطروحته التي تقول إن معسكر الاعتقال هو "مصفوفة السياسة الخفية "، وزعمه وجود صلة داخلية بين ظهور حقوق الإنسان وإنشاء معسكرات الاعتقال. لن يكون هناك حدود آمنة ومأمونة تفصل بين الديمقراطيات البرلمانية والدكتاتوريات الشمولية، وبين الدول الليبرالية والأنظمة الاستبدادية و"بقدر ما يتم تجريد سكانه من كل وضع سياسي واختزالهم كليا إلى الحياة العارية، فإن المعسكر [...] هو الفضاء السياسي الحيوي المطلق الذي يجري تحقيقة بصورة لم تكن بمثل هذا الوضوح في أي وقت مضى، حين لا تواجه السلطة شيئا سوى الحياة النقية، دون أي وساطة". (أغامبين، 2015) وهذا هو أول استفزاز يطرحه أغامبين للسياسات الغربية بمجملها.

في مقالين قصيرين (الأول، "حالة الاستثناء الناجمة عن حالة طوارئ غير مبررة"، مقال لصحيفة "Il manifesto " اليومية الإيطالية، تُرجم إلى الإنكليزية ونشرته صحيفة "Positions Politics "؛ أما الثاني، وهو "الإيضاحات"، الذي نُشر أصلاً في ترجمته الإنكليزية على مدونة الإنسانية An und fur Sich)، يجلب أجامبين كل مفاهيمه للتأثير على الاستجابة العالمية لجائحة فيروس كورونا. وفي نظره شرعت الجائحة كوفيد-19 للسلطة استخدام كل وسائل القمع والمراقبة للهيمنة على الشعوب وهو نموذج متكرر في معظم الدول، وهو بذلك يحي افكار ميشال فوكو المتعلقة بنظم الضبط واستراتيجيات السلطة من خلال المراقبة و العقاب التي لخصها في نظرية السلطة الحيوية La biopolitique ، و أن ما تمر به الآن البشرية هو "الاستثناء" The Exception، فلكي نحافظ على أنواع الحيوات الأخرى "الأكثر غنى" علينا أن نحافظ على الحياة البيولوجية، أو "الحياة العارية"، فالقوانين الاستثنائية التي تُفرض الآن، في كل دول العالم وحتى في أعرق الديموقراطيات تتسم بصفة "الاستثناء". وهو السمة الاساسية للحضارة الغربية في نظر أغامبين، حيث تكتسب الأنظمة في أوقات الأزمات سلطات أكثر قوة وتتعطل الحياة الدستورية. ويتمثل هذا "الاستثناء" في إجراءات الحجر الصحي ومنع التجول والاستعانة

بقوات الأمن والجيوش لتطبيق هذه البروتوكولات، حيث يجري خنق الحريات الأساسية وتقليصها، وإحلال قوانين الدفاع والطوارئ محل القوانين الطبيعية. (Agamben, Giorgio Agamben: "Clarifications", 2020)

والواقع أن حالات الإغلاق والحجر الصحي في نظره ليست سوى مظهر آخر من مظاهر "الميل المتزايد إلى استخدام حالات الاستثناء كنموذج طبيعي للحكم". ويذكرنا بأن الحكومة تفضل دوماً أن تحكم بإجراءات استثنائية. وفي حال كنتم تتساءلون عن الكيفية التي من المفترض أن نأخذ بها هذه القطعة من نظرية المؤامرة الانتقادية هذه، يضيف قائلا: "بمجرد استنفاد الإرهاب كمبرر"، فإن أفضل شيء بعد ذلك هو "اختراع الوباء" (Agamben, 26/02/2020)،

وفي السياق نفسه للطرح العام لهذه المسألة يؤكد المؤلف وأستاذ الفلسفة السياسية الإيطالي ماسيمو دي كارولیس (Massimo De Carolis) أن النقطة الحاسمة هي تبيين ما إذا كانت الإجراءات المرتبطة بجائحة مؤقتة أم أننا نشهد بدلاً من ذلك اختبارًا عامًا لما يمكن أن يصبح حال الحياة العادية في مجتمعات المستقبل القريب. (De Carolis, 2020)

وهو الأمر الذي يجعل الفيلسوف السلوفيني سلافوي جيجيك(Slavoj Zizek)يتخوَّف من وباء السلطويَّة وشيوع الاستبداد، متوقعاً أن تنشأ في أوروبا: "بربرية جديدة بوجه إنساني — حيث تُفرض قيودٌ صارمة لا ترحم من أجل البقاء – تلجأ إلى آراء الخبراء لاكتساب مشروعيتها." ". (Žižek, 2020)

ويذهب جاك أتالي (Jacques Attali) الى أن النظام الجديد ما بعد كورونا يقوم على آليتين هما السوق والديمقراطية، وستنشأ أنظمة المراقبة الاستبدادية بمساعدة الذكاء الاصطناعي –والتي ظهرت بداياتها في الصين–وفي الوقت نفسه الأنظمة الاستبدادية لتوزيع الموارد والتي يمكن رؤية مخططاتها الأولى في الأزمة الحالية، مع تقنين أو حصص أو استباقات من قبل الدول لما يسمى بالموارد "الاستراتيجية". (espacemanager, 2020)

يرى أتالي أنه منذ بداية أزمة فيروس كورونا، تبنى السياسيون خيارات لا يمكن تصورها للحكومات الليبرالية تتبع السكان من خلال التطبيقات المتطفلة والتأميمات المتوخاة بدون ثورة، ومطالبة قطاعات كاملة من الصناعة باسم اقتصاد الحرب ضد الوباء ... إلخ. بالنسبة إلى أتالي، عندما ينحسر الوباء، سنرى بلا شك ولادة فترة من النقد والتنافس للقادة والتي ستؤدي –كرد فعل –إلى أشكال من "الانحدار الاستبدادي" للحفاظ على أنظمة السلطة في مكانها. لكن قريباً ستأتي مرحلة جديدة من شرعية السلطة. (espacemanager, 2020)

قد أثارت قضية الرقابة الرقمية لمكافحة وباء فيروس كورونا المستجد جدلاً خاصاً فيما يتصل بقضية حقوق الإنسان، وفي هذا الصدد، وقّعت أكثر من 100 مجموعة من منظمات المجتمع المدني على بيان مشترك يحدد الشروط التي يجب استيفاؤها قبل استخدام تكنولوجيا الرقابة الرقمية. وقالت رشا عبد الرحيم، نائبة مديرة برنامج التكنولوجيا في منظمة العفو الدولية: «يمكن للتكنولوجيا أن تلعب دوراً مهماً في الجهد العالمي لمكافحة وباء كورونا، ولكن هذا لا يمنح

الحكومات تفويضاً مطلقاً لتوسيع عملية الرقابة الرقمية». وأردف البيان قائلاً إنه لا يمكن استخدام الرقابة الرقمية المتزايدة للتعامل مع حالة الطوارئ الصحية العامة هذه إلا في حالة استيفاء بعض الشروط الصارمة. ولا يمكن للسلطات ببساطة أن تتجاهل الحق في الخصوصية، ويتعين عليها ضمان أن أي إجراءات جديدة لا بد أن تشمل ضمانات قوية لحقوق الإنسان، كما أكد البيان، الذي شدد على أنه أينما تستخدم الحكومات قوة التكنولوجيا كجزء من استراتيجيتها للتغلب على وباء كورونا، يجب أن تفعل ذلك بطريقة تحترم فيها حقوق الإنسان. (مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، 2020)

2-2 التهديد الامني للبشرية والعزلة الوهمية

تشكل الجائحة أكبر تهديد للأمن البشري -منذ الأنفلونزا الإسبانية قبل قرن من الزمان- تجعل إنسانيتنا المشتركة تشكل تهديدا أمنيا محتملا، فالعدو داخلنا هذه المرة وليس تهديدا خارجيا، إذ ينظر الناس لبعضهم بعضا على أنهم حاملون متوقعون للفيروس، لذا لجأت العديد من الدول الى سياسة مناعة القطيع وهو مصطلح مثقل الى أبعد الحدود وأقصى المسافات بالداروينية في الفكر الغربي، ونجد صداها في أفكار مالتوس التي حواها كتابه "بحث في مبدأ السكان" وفي آراء جيمس ستيوارت وفي نظرية السكان لكانتيلون، وغيرهم من منظري ومؤسسي الفكر الغربي. فمناعة القطيع تقترح أنه في حالة الأمراض المعدية التي تنتقل من فرد إلى فرد، فإن إعاقة سلسلة العدوى تكون بانتشار الفيروس عن طريق العدوى واكتساب مناعة جماعية ضد الفيروس. أي مضمونها الثقافي المستبطن أن نترك البشر وشأنهم يقاومون الفيروس حتى يتم ذاك الفرز الطبيعي وفق القانون المادي الطبيعي "البقاء للأقوى".

اتجهت العديد من الدول الى انتهاج سياسة مناعة القطيع عند ظهور فيروس كورونا خاصة مع انتشاره بشكل مرعب ينذر بوباء عالمي ، حيث بدأ خبراء الصحة العامة والطب الحديث عن حاجة الدول للوصول إلى مناعة القطيع لوقف انتشار الفيروس التاجي. إذ قدر الخبراء أن ما بين 60٪ و 90٪ من الناس في الولايات المتحدة مثلا سيحتاجون إلى التطعيم حتى يحدث ذلك. و في بداية 2021 تم تطعيم حوالي 35 ٪ فقط من السكان بشكل كامل ، ومع ذلك قال مركز السيطرة على الأمراض في 14 ماي 2021 أن الأشخاص الذين تم تطعيمهم بالكامل يمكن أن يفقدوا أقنعتهم في معظم الأماكن الداخلية والخارجية. (Petri, 30/03/2021)

تحدث مناعة القطيع عندما يكون هناك عدد كافٍ من الأشخاص المناعيين في مجتمع ما بحيث تتوقف الإصابات الجديدة. هذا يعني أن عددًا كافيًا من الأشخاص قد حققوا مناعة لتعطيل انتقال العدوى من شخص إلى آخر في المجتمع ما، وبالتالي حماية الأشخاص الأقل مناعة. وتنتج هذه المناعة إما من التطعيم أو العدوى السابقة. وقامت الدراسات الطبية التي أجريت على مئات الآلاف من الفئران بدمج الفكرة في الاتجاه السائد، مما أثار التفاؤل بأن جعل جزء من السكان

محصنين يمكن أن يمنع تفشي المرض بشكل مدمر، كما هو الحال مع الجدري، أو في بلد أو منطقة ما. على سبيل المثال، حققت الولايات المتحدة والعديد من البلدان الأخرى مناعة قطيع ضد شلل الأطفال والحصبة، على الرغم من عدم وجود مناعة قطيع عالمية. لذلك يمكن تحقيق مناعة القطيع في جميع أنحاء العالم، ولكن فقط من خلال الجهود المستميتة الى جانب التعاون العالمي.

إن مختلف الفيروسات لها أرقام تكاثر خاصة بها، لذلك لكل منها عتبة مناعة قطيع خاصة بها، حيث نشأت أسس نظرية العتبة في أوائل القرن العشرين، وكان عالم الأوبئة البريطاني جورج ماكدونالد أول من أدخل رقم التكاثر، أثناء دراسته للملاريا في إفريقيا في الخمسينيات. وانطلاقا يختلف فيروس كورونا عن بقية الفيروسات في ارقام تكاثره ومستوى عتبته وكيفية انتشاره. (AKPAN, 02/10/2020) لذلك لا تستطيع "سياسة القطيع" ولا إنتاج أي لقاح ضعيف أن يوقف ويحد من انتشار جائحة كوفيد19 ،فاستنادًا إلى حسابات بسيطة ، وتجارب سابقة مع تفشي المرض ، والأدلة الناشئة من الوباء المستمر ، فإن هذا الادعاء مجرد خيال. إذ تقول "فيرجينيا بيتزر Virginia Pitzer " عالمة الأوبئة في كلية ييل Yale School للصحة العامة والمتخصصة في النمذجة الرياضية لكيفية ظهور وانتشار الأمراض" يمكن للقاح بفاعلية 50 في المائة أن يجنب مئات الآلاف من دخول المستشفى ، والمشاكل الصحية المزمنة ، والموت – لكنه لا يمكن أن يصل إلى عتبة مناعة القطيع من تلقاء نفسه حتى لو أخذها الجميع. الرهان الأكثر أمانًا هو لقاح تزيد فعاليته عن 75 بالمائة". (AKPAN, 02/10/2020)

يقول بيتزر: "من المستبعد جدًا أننا سنشهد القضاء على كوفيد 19 تمامًا من السكان ببساطة من خلال تراكم المناعة الطبيعية". ولكن إذا أضفنا لقاحًا عالي الفعالية علاوة على ذلك فمن الممكن نظريًا أن نتمكن من القضاء على الفيروس أو على الأقل السيطرة عليه". (AKPAN, 02/10/2020)

لذلك سياسة مناعة القطيع تعتبر عزلة وهمية لأننا لا نستطيع الحد من الفيروس بهذه الطريقة فوفق أستاذ الفلسفة بالمعهد العالي للفلسفة إيكلوفان ببلجيكا والمختص في أخلاقيات الطب الحيوي، بأن الإنسانية، تشكل كتلة اجتماعية حميمية ومترابطة، فالبيئة المعدية والهواء المشترك الذي يتنفسه أحدنا من رئة الآخر يدحضان اعتقادنا بأن المجتمع محض أجساد تتجاور في استقلال وتفشي هذا الوباء شبيه بقضايا المناخ، وفق تصوره. فكلاهما يذكرنا بأننا جميعًا نمتطي القارب نفسه وأن سلامتنا لن تتحقق إلا بنجاتنا معا. وكلاهما يوقظ فينا رغبتنا في البقاء ويجعلها شكلاً بدائيا من أشكال الوعي المدني. (القاسمي، 2020)

محذرا من أن "الخوف من فقدان الحياة يسهل أن يبنى عليه استبداد وحشي". كما ان الاوضاع الناتجة عن تداعيات الجائحة يعطل التفكير من خلال الانهيار الواضح والتفكك الصريح لجميع القناعات والمعتقدات لدى الناس، فهم"لم يعودوا يؤمنون بأي شيء غير الوجود والحياة البيولوجية العارية (المجردة)، التي يجب الحفاظ عليها بأي ثمن".

(Agamben, Giorgio Agamben, "The state of exception provoked by an unmotivated emergency", 26/02/2020)

ويرى الإيطالي ماسيمو دي كارواليس أن إجراءات الحظر والتباعد الاجتماعي مثيرة للقلق، "فهي تحل الرابطة الاجتماعية وتفرض نظاما من العزلة وسيطرة الشرطة على جميع السكان، وهو تذكير بالتجارب الأكثر ظلمة لماضينا السياسي الحديث". ويبرر شكوكه بحقيقة أن تدمير الروابط الاجتماعية والسيطرة باسم "الصحة العامة" لم يأتيا بالتأكيد مع الفيروس المستجد، فلقرن على الأقل، تميل الآليات الاجتماعية الحديثة إلى إنشاء مجتمع قائم على العزلة، حيث يُنظر إلى عفوية الحياة الاجتماعية على أنها عقبة أو حتى تهديد لاستقرار النظام**".** (De Carolis, 2020)

خاتمة

من خلال ما تقدم يمكن التأكيد على أن الرؤية الفلسفية والإبستمولوجية لجائحة كوفيد-19 كانت نقدية بالدرجة أولى و استشرافية بالدرجة الثانية، فناقدي ما بعد الحداثة اعتبروا آثار وباء كورنا بمثابة ضربة جديدة وافلاس معلن للحداثة خاصة مع انحسار وتراجع القيم الإنسانية، ورغم التقدم العلمي والتكنولوجي لم يستطع العالم برمته ان يواجه زحف هذا الفيروس، أما من الجانب الاستشرافي فيؤكد العديد من الفلاسفة أن هذه الجائحة قد تفتح المجال أمام السلطة الاستبدادية كذريعة للمراقبة والقمع والتضييق على الحقوق الشخصية بشكل دائم بسبب الإجراءات الاستثنائية ضد تفشي الجائحة مما قد يؤدي الى استغلال الوباء لتبرير الاستبداد وتمديد حالة الطوارئ إلى ما لا نهاية.

ومن أبرز الرؤى الفلسفية لتداعيات جائحة كوفيد-19 بين نقد الحداثة ونظرية المؤامرة أن هذه الأزمة تمثل:

1- خطرًا واضحًا لا يؤثر علينا فقط بطريقة غير عادية، بل إنه سيؤثر سلبًا على طريقة حياتنا، ومنظماتنا السياسية والاجتماعية، والطريقة التي نفهم بها حياتنا. هذه هي الرؤية الأكثر سوداوية تشاؤمية

2- الأزمة هي فرصة واضحة، بمجرد التغلب على الصدمة الحالية والفورية، ستسمح لنا بإعادة ترتيب أولوياتنا ومعاييرنا وإدراك حالتنا كنوع عالمي، وتغيير أشياء كثيرة نحو الأفضل. هذه هي الرؤية الأكثر مثالية.

3- هناك بالطبع خيار ثالث يرى أن الأزمة بكل تأثيرها السلبي وعلى الرغم من الآفاق القاتمة على المدى المتوسط لن تغير شيئًا جوهريًا ولن تعني أكثر من حدث تاريخي آخر سنستفيد منه قريبًا. ننسى أو لا تنسى ستكون موضوعية للغاية. ربما تكون هذه وجهة نظر أكثر تشاؤمًا وتشككًا.

و عليه فان غموض الحاضر والشك في المستقبل، وما ستكون عليه الحياة بعد هذه الجائحة، هي العلامات الأساسية لهذه اللحظة الفارقة في تاريخ البشرية، وهي ما يتردد في جميع التعليقات والتحليلات والتنبؤات التي تتدفق كل لحظة في جهات الأرض الأربع. فلا أحد لديه جواب مقنع يشفي الغليل على ما سيكون عليه شكل الحياة في المستقبل، لا أجوبة لدى السياسيين أو المتخصصين في علوم الاقتصاد أو المفكرين وعلماء المستقبليات. والأهم من كل هذا أنه لا أجوبة يقينية لدى العلماء والأطباء.

قد أجبرنا فيروس كورونا على تغيير عاداتنا، والتنازل عن حرياتنا، والتخلي عن حقوقنا الأساسية، الذي أشاعها عصر التنوير الأوروبي، وصادقت عليه الديمقراطيات المعاصرة، لأن الأنظمة الصحية شارفت على الانهيار، وعدم قدرة العالم المعاصر الالتزام بالمحافظة على حق الحياة بوصفه الحق الأساسي الأول لكل إنسان، مهما كان عرقه أو طبقته أو ديانته، أو معتقده الأيديولوجي؛ ومهما كانت فئته العمرية، لكننا للأسف نشهد تناقضا صريحا بين المبادئ والممارسات في أعرق الديموقراطيات الغربية، وكذلك في الدول التي تحكمها أنظمة دكتاتورية أو شبه ديموقراطية. حيث تكرس مبدأ البقاء للأقوى وأصبحنا نعيش عصراً يتسلح بمفاهيم وقيم داروينية ومالتوسية جديدة تضرب عرض الحائط بكل ما دعت إليه فلسفة الأنوار وشرعة حقوق الإنسان. وهو أمر مخيفٌ، بل مثيرٌ للفزع، أن تنحدر الإنسانية إلى هذا الدرك من سلم القيم.

قائمة المراجع:

- **المراجع باللغة العربية**

1. أحمد القاسمي. (29 10, 2020). جائحة كورونا من منظور الفلسفة والسياسة والاقتصاد. تاريخ الاسترداد 04 03, 2021، من عربي 21: https://arabi21.com/story/1310956/
2. الامم المتحدة ، (29 12, 2020)، *فيروس كورونا: الجائحة التي عطلت العالم ووسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء*. تم الاسترداد من الامم المتحدة: https://news.un.org/ar/story/2020/12/1068272
3. أمانويل كانط. (2002)، *تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق* (المجلد الطبعة الاولى)، (عبد الغفار المكاوي، المترجمون) كولونيا- ألمانيا: منشورات الجمل.
4. جورجيو أغامبين، (2015)، *حالة الاستثناء -الانسان الحرام-* . (ناصر إسماعيل، المترجمون) مصر : دار مدارات للأبحاث والنشر .
5. جيرمي ريفكن، (2005)، *نهاية العمل: تضاؤل القوى العاملة العالمية وبزوغ فجر حقبة ما وراء السوق* (المجلد الطبعة الأولى ، (رجب بودبوس، المترجمون) ليبيا: أكاديمية الفكر الجماهري.
6. مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية. (08 04, 2020). *حقوق الإنسان في عصر كورونا* . تاريخ الاسترداد 30 05, 2021، من مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية: https://www.ecssr.ae/reports_analysis/
7. ولتر ستيس، (2005)، *فلسفة هيجل - فلسفة الروح* (المجلد الطبعة الثالثة). (إمام عبد الفتاح إمام، المترجمون) بيروت- لبنان: دار التنوير للطباعة و النشر .

- **المراجع باللغة الأجنبية**

8. Agamben, G. (2020, 03 17). Giorgio Agamben: “Clarifications”. (A. KOTSKO, Interviewer) Retrieved from https://itself.blog/2020/03/17/giorgio-agamben-clarifications/
9. Agamben, G. (26/02/2020). Giorgio Agamben, “The state of exception provoked by an unmotivated emergency”. Positions Politics. Retrieved from http://positionspolitics.org/giorgio-agamben-the-state-of-exception-provoked-by-an-unmotivated-emergency/
10. AKPAN, N. (02/10/2020). A 'herd mentality' can’t stop the COVID-19 pandemic. Neither can a weak vaccine. *NATIONAL GEOGRAPHIC*.
11. Bieber, F. (2020, 04 27). Global Nationalism in Times of the COVID-19 Pandemic. *PMCID*(PMC7242772), pp. 1-13. Retrieved 05 30, 2021, from https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC7242772/
12. Emcke:, C. (2020, 04 20). “La pandemia es una tentación autoritaria que invita a la represión”. (J. Cruz, Interviewer) Retrieved from https://elpais.com/cultura/2020-04-19/carolin-emcke-esta-es-una-tentacion-

13. CSSEGISandData. (2021, 03 02). COVID-19 Data Repository by the Center for Systems Science and Engineering (CSSE) at Johns Hopkins University. Retrieved 03 02, 2021, from github: https://github.com/CSSEGISandData/COVID-19
14. De Carolis, M. (2020, 03 12). The Threat of Contagion. Retrieved from https://usa.anarchistlibraries.net/library/massimo-de-carolis-the-threat-of-contagion.pdf
15. espacemanager. (2020, 04 04). Prédictions de Jacques Attali face au Coronavirus. Consulté le 11 29, espacemanager, sur espacemanager: https://www.espacemanager.com/predictions-de-jacques-attali-face-au-coronavirus.html
16. ILO. (2020, 03 02). *COVID-19 and labour statistics*. Retrieved 03 02, 2020, from ILO: https://ilostat.ilo.org/topics/covid-19/
17. Jurado, J. (2020, 05 9). *La crisis del Coronavirus: riesgo y oportunidad.* Retrieved from la galeria de los perpeljos: https://arjai.es/2020/05/09/la-crisis-del-coronavirus-riesgo-y-oportunidad-i/#comments
18. Jürgen Habermas. (2020, 04 16). *Dans cette crise, il nous faut agir dans le savoir explicite de notre non-savoir ».* Retrieved 11 30, 2020, from Le Monde: https://www.lemonde.fr/idees/article/2020/04/10/jurgen-habermas-dans-cette-crise-il-nous-faut-agir-dans-le-savoir-explicite-de-notre-non-savoir_6036178_3232.html
19. Merlet, P. (2020, 03 17). *Pas trop tard pour changer le monde, selon Edgar Morin"*. Retrieved from https://toulouse.latribune.fr/evenements/2020-03-17/video-pas-trop-tard-pour-changer-le-monde-selon-edgar-morin-842465.html
20. Petri, W. (30/03/2021). Herd immunity appears unlikely for COVID-19, but CDC says vaccinated people can ditch masks in most settings. *The Conversation*.
21. Rollingstone. (2020, 03 19). *Useful Idiots: Noam Chomsky on the Primary, Media Criticism, and COVID-19*. Retrieved 11 30, 2020, from rollingstone.: https://www.rollingstone.com/politics/politics-news/noam-chomsky-covid-19-useful-idiots-podcast-970047/
22. Wolff, R. P. (1970). *In Defense of Anarchism.* Harper.
23. Žižek, S. (2020, 04 06). *Filosofia, Slavoj Žižek: "Vedo un nuovo comunismo germogliare dal virus"*. Retrieved 03 03, 2021, from la Repubblica: https://rep.repubblica.it/pwa/robinson/2020/04/06/news/slavoj_z_iz_ek_chiusi_in_casa_riscopriamo_non_c_e_momento_piu_politico_di_questo-253290185/